فتح وسقوط مدينة إشبيلية Sevilla الأندلسية

(٩٣-٦٤٦هـ/٧١١-١٢٤٨م)

الأستاذ الدكتور
جاسم ياسين الدرويش
phjassim2@yahoo.com
الأستاذ الدكتور
حسين جبار العلياوي
Hussain.mechateel@uobasrah.edu.iq
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

The Conquest and Fall of the Andalusian City of Seville (93-646 AH / 711-1248 AD)

Prof. Dr.
Jassim Yassin Al-Darwish
Prof. Dr.
Hussein Jabbar Al-Aliawi
University of Basra - College of Education for the Humanities

الملخص:-

تقع مدينة اشبيلية غربي قرطبة، فتحها المسلمون سنة(٩٣هـ/ ٧١١م) على يد موسى بن نصير، إلا انه سرعان ما ثار أهلها وقاموا باسترجاعها، وعندما بلغ الخبر موسى سير اليهم ابنه عبد العزيز فحاصرها وفتحها مرة أخرى في سنة (٩٤هـ/٧١٢م)، وبذلك تكون المدينة قد فتحت مرتين. ثم تعاقب عليها ولاة الدولة الإسلامية في الأندلس طيلة مدة حكمهم لها حتى سقوطها بيد النصارى سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وقد شهدت المدينة أحداثاً سياسية وعسكرية كثيرة طيلة هذه المدة.

وقد تطلبت مادة البحث تقسيمه إلى مبحثين سلط الأول الضوء على جغرافية وفتح المدينة وأحداثها حتى سنة(٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، في حين تناول المبحث الثاني سقوط المدينة سنة(٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وحصارها والمقاومة الشرسة التي أبداها أهلها ثم استسلام المدينة.

الكلمات المفتاحية: اشبيلية، الأندلس، النصارى، قشتالة.

Abstract:-

The city of Seville is located west of Cordoba. It was conquered by Muslims in the year 93 AH / 711 AD by Musa bin Nusayr. However, its people quickly fled and recaptured it. When the news reached Musa, he sent his son Abd Al-Aziz to them, besieged it, and conquered it again in the year 94 AH / 712 AD. Thus, the city was conquered twice. Then, the governors of the Islamic state in Andalusia succeeded one another throughout their rule until it fell at the hands of the Christians in the year 646 AH / 1248 AD. The city witnessed many political and military events throughout this period

The research required dividing it into two sections. The first shed light on the geography, conquest, and events of the city up to the year 622 AH / 1225 AD. The second section dealt with the fall of the city in the year 646 AH / 1248 AD, its siege, and the fierce resistance shown by its people, which led to the city's surrender.

Key words: Seville, Andalusia, Christians, Castile.

المقدمة:-

حكم المسلمون الأندلس حوالي ثمانية قرون (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩٢م) وكانت عملية يسيرة وسريعة ولم تشهد أحداثاً دموية كبيرة بين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين، ولكن بعد قيام الممالك النصرانية ازدادت حدة المواجهات وظهر ما يسمى بحرب الاسترداد لطرد المسلمين من المناطق التي خضعت لهم والتي شهدت أعمال عنف بمختلف أنواعه من قتل وتدمير وتنصير وتهجير.

وفي هذا المبحث حاولنا أن نسلط الضوء على ما شهدته مدينة اشبيلية الاندلسية من أحداثا تاريخية والتي تكللت بدخول القوات النصرانية والسيطرة عليها بعد ٥٥٣ سنة من حكم المسلمين لها، وقد تطلبت مادة البحث تقسيمها الى مبحثين تناول الأول (جغرافية المدينة وأحداثها السياسية والعسكرية حتى سنة(٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، أما المبحث الثاني فقد تطرق إلى سقوط المدينة سنة(٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) والمقاومة الشديدة التي أبداها أهلها المسلمون إلا إن محاصرتها مدة طويلة وقطع الإمدادات عنها جعلها تواجه مصيرها تستسلم وتعرض أهلها للتهجير والتنكيل.

المبحث الأول

جغرافية وفتح مدينة اشبيلية وأحداثها حتى سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)

وهي إحدى قواعد بلاد الأندلس المهمة قبل الإسلام وقيل إنها من بناء يليوس قيصر أقامها على أرض منبسطة التي تعني باللسان الاسباني إشبيلية[1]، وهي تقع غربي قرطبة وعلى نهر الوادي الكبير الذي يمر بقرطبة ثم ينحدر نحو إشبيلية ويصب في المحيط الأطلسي، وأفاضت المصادر في ذكر المدينة وموقعها وأوصافها ومن ذلك أجمل الإدريسي وصفها بقوله: (ومدينة إشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسير وجل تجاراتهم بالزيت يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب براً وبحراً وهذا الزيت عندهم يجتمع من الشرف، وهذا الشرف هو مسافة أربعين ميلاً وهذه الأربعون ميلاً كلها تمشي في ظل شجر الزيتون والتين أوله بإشبيلية وآخره بمدينة لبلة وكله شجر الزيتون وسعته اثنا عشر ميلاً وأكثر وفيه فيما يذكر ثمانية آلاف قرية عامرة آهلة بالحمامات والديار الحسنة وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية إشبيلية ممتد من الجنوب إلى

الشمال وهو تل تراب أحمر وشجر الزيتون مغروسة به من هذا المكان إلى قنطرة لبلة وأشبيلية على النهر الكبير وهو نهر قرطبة)[٢]، ولجمالها كانت تسمى عروس الأندلس[٣]، كما كانت تسمى أثناء حكم الأمويين في الأندلس بحمص وذلك لأنهم سموا عدة مدن بأسماء الشام وقيل إن جند حمص هم من سكنوها فسميت بهم[٤]، وقيل سميت إشبيلية حمص لشبهها بها[٥].

أما المسافات بينها وبين ما جاورها من مدن الأندلس فبينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً[٦]، وبينها وبين بطليوس ستة أيام[٧] وبينها وبين طلياطة عشرون ميلاً[٨]، وبينها وبين قرمونة مسيرة ثلاثة أيام[٩]، وبينها وبين لبلة أربعون ميلاً[١٠]، وبينها وبين الجزيرة الخضراء مسيرة خمسة أيام وبينها وبين البحر ستون ميلاً[١١]، وبينها وبين مالقة خمس مراحل[١٢]، وبينها وبين شريش مرحلتان[١٣].

أما فتحها فكان على يد موسى بن نصير الذي عبر إلى الأندلس سنة ٩٣هـ/٧١١م وسلك غير الطريق الذي سلكه طارق بن زياد فاتجه غرباً نحو قرمونة ثم شذونة ثم نحو إشبيلية فحاصرها عدة أشهر ثم فتحها[١٤]، وعندما وصل إلى ماردة وحاصرها ثار أهل إشبيلية فقتلوا من بها من المسلمين فسير إليهم موسى ابنه عبد العزيز فحصرها وفتحها مرة أخرى عنوة [١٥]، وفي ذلك ذكر ابن عذاري أنه (لّما اشتغل موسى بن نصير بحصار ماردة، ثار عجم إشبيلية، وارتدوا، وقاموا على من كان فيها من المسلمين، وتجالب فلهم إليهم من مدينتي لبلة وباجة، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلاً، وبلغ الخبر بذلك إلى موسى بن نصير، فلما استتم فتح ماردة، بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى إشبيلية، فافتتحها)[١٦]، وكان الفتح الثاني لإشبيلية في شوال من سنة ٩٤هـ/٧١٢م[١٧].

كانت مدينة إشبيلية منذ الحقبة الأخيرة من عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م) مسرحاً للصراع بين القبائل العربية القيسية واليمانية لاسيما خلال مدة حكم الوالي أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥-١٢٧هـ/٧٤٢-٧٤٤م)[١٨]، ثم تجدد الصراع في عهد الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م)[١٩]، ولم تهدأ الحياة فيها كثيراً في عهد الإمارة، ففي عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) ثار فيها حيوة بن ملامس الحضرمي وذلك سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م ثم ثورة الموالي سنة ١٥٥هـ/٧٧٢م[٢٠]، كما تعرضت المدينة في سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م إلى هجمات النورمان الذين

كان أول ظهور لهم سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م وتكرر هجومهم عليها سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م[٢١]، وخلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ثارت فتنة في إشبيلية بسبب اضطراب الأمور آنذاك وقد استقل فيها بنو الحجاج اللخميون ذاتياً إلى أن تمكن الأمير عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) من فتح إشبيلية وجلبها إلى الطاعة وعين عليها والياً من قبله وذلك سنة ٣٠١هـ/٩١٣م[٢٢].

وكان لقوة الدولة الإسلامية في الأندلس في عهود الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) والخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) والحاجب محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) ثم ابنه عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م) أثر كبير في استقرار أوضاعها الداخلية، ولكن بعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة [٢٣] في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠ م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/١٠٣٠-١٠٩١ م) إذ انقسمت الأندلس إلى دويلات وأصبحت إشبيلية تحت نفوذ بني عباد (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م) وقاعدة ملكهم طيلة مدة حكمهم[٢٤]، وبعد عبور المرابطين استطاعوا من إحكام سيطرتهم على مدينة إشبيلية وذلك سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م[٢٥]، وبذلك أصبحت خاضعة لنفوذ المرابطين، إلا أن اضطراب الأمور في أواخر أيام المرابطين دفع أهالي إشبيلية إلى إرسال وفد للمغرب لدعوة الموحدين، وقد تم لهم ذلك إذ دخلتها الجيوش الموحدية في شعبان من سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م[٢٦].

وبعد هزيمة الموحدين في العقاب دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على الصورة نفسها التي جرت في أواخر عهد المرابطين، وبخصوص مدينة إشبيلية فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر ابنه المستنصر بالله[٢٧] الذي حكم حتى سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية بالأندلس فدعا أشياخ

الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م وتلقب بالعادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراكش والأخر في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العادل أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيّان وأبدة وبيّاسة، ولقب بالبيّاسي لأنه اتخذها مقراً له، عندها بعث العادل الموحدي جيشاً للقضاء عليه، فراسل البيّاسي ملك قشتالة يطلب الخضوع والطاعة وأن يسلم إليه قصبة بياسة لقاء مساعدته، ولما ضرب الجيش الموحدي حصاراً على مدينة بيّاسة كان الوقت شتاء ومع هطول الإمطار وارتفاع منسوب المياه، فضلاً عن خشيتهم من مداهمة القشتاليين حلفاء البياسي، اضطر إلى الانسحاب، ثم كرر العادل الموحدي إرسال قوة أخرى إلا أن البياسي تمكن بمساعدة القشتاليين من هزيمتها(٢٨).

كان فشل قوات العادل الموحدي القضاء على حركة البياسي سبباً في زيادة طموحه، فأرسل قواته سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م تجاه مدينة قيجاطة فتمكن من اقتحامها بمساعدة الجند القشتالي، وفي السنة التالية تمكن مع حلفائه من إخضاع معظم الحصون في كورة جيّان، ثم قرر التوجه إلى إشبيلية ومعه جيش من النصارى، وبالقرب من طلياطة (Tliata) اشتبك مع الجيش الموحدي وأنزل بهم هزيمة كبيرة وقتل منهم نحو من ألفي رجل وكان نتيجة ذلك أن خضعت للبياسي معظم الحصون الواقعة بين إشبيلية وقرطبة، وعندما رأى أهل قرطبة ذلك خلعوا طاعة واليهم الموحدي ودخلوا في طاعة البياسي(٢٩).

بعدها قرر البياسي ـ بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى ـ أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م فاستعد الجيش الموحدي للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي، ومزق جيشه، وارتد إلى قرطبة، ولما رأى أهل قرطبة إفراطه في التحالف مع النصارى وتسليم الحصون إليهم ثاروا ضده، ففر منها إلى حصن المدور(Almodovardel Roi) ولكن ثوار قرطبة اقتحموا عليه الحصن وقتلوه وبعثوا برأسه إلى حاكم إشبيلية الموحدي(٣٠).

وفي عهد الخليفة الموحدي العادل أيضاً، تعرض إقليم الشرف المحيط بإشبيلية لهجوم من قبل نصارى ليون يقودهم مارتن سانشيز وهو ابن غير شرعي لملك البرتغالPortugal(٣١)

سانشو الثاني Sancho II (٦٢٠-٦٤٦ هـ/١٢٢٣- ١٢٤٨ م)، ودخل في خدمة ملك ليون Leon، وقد عبرت قواته جبال الشارات، وسارت جنوباً حتى وصلت إلى أراضي الشرف، واستولت على الكثير من الغنائم والسبي، وقد وجد الخليفة العادل أخوه أبو العلا ووزيره ابن يوجان[٣٢] عاجزين عن مواجهة النصارى، وحماية مدينتهم، لذا استنفر الخليفة العادل الناس، واحتشدت جموعهم، إذ اجتمع من الفرسان نحو مائة فارس، وسارت هذه الجموع إلى غربي إشبيلية لمواجهة النصارى على مقربة من مدينة طلياطة سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وعند وصولهم انقض عليهم النصارى، وقتلوا وأسروا الكثير منهم، إذ قدر من قتل من المسلمين في هذه الموقعة بعدة آلاف، وعرفت هذه المعركة باسم موقعة طلياطة[٣٣].

المبحث الثاني

سقوط مدينة اشبيلية سنة(٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)

كان اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس ولاسيما في وسط وشرق الأندلس، أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي ومحمد بن يوسف بن الأحمر، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق وحاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي ودخلت إشبيلية في حكمه إذ عين عليها أخاه وذلك سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه[٣٤]، إلا أن أهالي إشبيلية انتقضوا عليه سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م وأخرجوا أخاه وبايعوا رجلاً منهم يدعى أبا مروان الباجي وتسمى بالمعتضد ومد نفوذه إلى قرمونة فأرسل إليه ابن هود قوة حاصرته إلا أنه مدّ يده إلى ابن الأحمر ودخل في طاعته ولكن الأخير غدر به وقتله ودخل إلى إشبيلية وذلك سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م وبذلك دخلت في حوزته فرفض أهالي إشبيلية وجوده فثاروا علية ودعوا إلى ابن هود، وبعد مقتل الأخير سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م دخلوا في طاعة الرشيد الموحدي (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م) واستمروا في دعوة الرشيد حتى وفاته سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، ثم بايعوا أبو زكريا بن أبي حفص صاحب تلمسان وسلموا لأحد أقاربه البلد ثم انتفضوا عليه سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م وقدموا أحد أعيان إشبيلية المدعو أبو عمرو بن الجد الذي استقل في حكمها، ثم إن ابن الجد داخل ملك قشتالة وصالحه

وسرح الجند وأسقطهم من ديوانه وهو ما دفعهم إلى الانتفاض عليه وقتله وتقديم رجل منهم يدعى شفاف(٣٥).

وفي هذا الأثناء أخذ ملك قشتالة فرناندو الثالث (٦١٤-٦٥٠هـ/١٢١٧-١٢٥٢م) بمهاجمة المدن الأندلسية مستغلاً حالة الفوضى بين المتغلبين عليها وانحسار نفوذ الموحدين ما ولد فراغاً سياسياً وعسكرياً وغدا الملك القشتالي سيد الموقف، وأصبحت سائر القواعد الوسطى لاسيما جيان وأحوازها تحت رحمته، الأمر الذي أجبر ابن الأحمر إلى عقد صلح مع ملك قشتالة، وفعلاً عقد الصلح بين الطرفين في سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م، وكان من بنوده عقد هدنة بينهما لمدة عشرين سنة، كما أعطى ابن الأحمر جيان وبركونة وأرجونة للنصارى، وصالحهم على ذلك مقابل تأمين غرناطة، ولم تدخل في هذا الصلح مدينة إشبيلية ولا شريش Jerez de Frontera(٣٦)، ما يعد ضوء أخضر للملك القشتالي بالاستيلاء عليهما.

وفعلاً بدأ ملك قشتالة فرناندو الثالث بمهاجمة المدن التي لم تدخل في الصلح لاسيما الواقعة غربي سلطنة غرناطة، إذ شرع النصارى في حصار إشبيلية سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وحشد فرناندو الثالث قوات كبيرة جاءت من مختلف أنحاء قشتالة، كذلك اشترك معه الأمراء والأشراف والأحبار النصارى، كما دفع الملك القشتالي أسطوله في نهر الوادي الكبير، إحكاماً لمحاصرة المدينة من جهة البحر، واضطر ابن الأحمر أن يشترك بقوة من فرسانه مع القشتاليين تنفيذاً للعهد الذي قطعه على نفسه في معاهدة الصلح مع ملك قشتالة، كما أنه أراد الانتقام من أهل إشبيلية لخذلهم إياه وعدم الدخول في طاعته(٣٧).

استمر حصار إشبيلية زهاء ثمانية عشر شهراً وأبدى المسلمون مقاومة كبيرة في الدفاع عن مدينتهم، ولم تجد نفعاً صرخات الاستغاثة التي وجهوها المغرب، ومن ذلك القصيدة التي نظمها أبو موسى هارون بن هارون يرثي أهل إشبيلية وما نالهم من الكرب ويحرض المسلمين فيها على الجهاد(٣٨) ومما جاء فيها:

يا حمص أقصدك المقدور حين رما	لم حق فيك الردى إلا ولا ذمما
جرت عليك يد الدهر ظالمة	لا يعدل الدهر في شيء إذا حكما
ما كنت أحسب أن الحادثات إذا	همت بك السوء لا تلقى لك السلما

قد كان حسنك فتان الشباب فمذ ... أصبت عوضت منها القبح والهرما
يا جنة زجرتنا عن زخارفها ... ذنوبنا فلزمنا البت والندما
ويمموا حمص في جمع يضيق به ... ذرع الفضا بالمرهفات الماع فاكتتما
واستوطنوا القبر في الوادي وقام لهم ... جسر منه الفلك لا تشكو به السأما
فكم أسارى غدت في القيد موثقة ... تشكوا من الذل أقداما لها حطما
وكم صريع رضيع ظل مختطفا ... عن أمه فهو بالأمواج قد فطما

إلى أن قال:

وكم بطريانة أبقى الأسبى ندبا ... في القلب يبعث وجدا كلما كلما
يا حسنها عرف للحسن جامعة ... ما طار قط لها إلا النعيم جما
يا عين فابك على حمص وقل لها ... منك البكاء إذا ما ترسليه دما
وقد أصيبت بها الدنيا وساكنها ... حقاً وأصبح ركن الدين قد ثلما
سطا بها الكفر إذ قل النصير بها ... فمن معز بها الإسلام ما سلما
يا أهل وادي الحما بالعدوة انتعشوا ... هذا الذماء فقد أشفى به سقما
فماذا يبطئكم عنا وحولكم ... أن تبصروا دار قوم أصبحت رمما
وحقنا واجب فالدين يجمعنا ... مع الجوار الذي مازال منتظما
وقد دعونا فأسمعنا على كثب ... بما قد استنفد القرطاس والقلما[٣٩]

ثم اضطر أهل إشبيلية إلى تسليم المدينة على أن يؤمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم، وأن يمهلوا شهراً لتسوية شؤونهم وإخلاء دورهم والتأهب للرحيل، وبعدها دخل فرناندو الثالث مدينة إشبيلية في أوائل رمضان سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م في موكب ضخم، وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الأحداث بقوله: (وفي سنة ست وأربعين وستماية كان استيلاء الطاغية أذفونش على مدينة إشبيلية أعادها الله للإسلام، بعد ما جرعوا أهلها كأس الحمام، من كثرة المجاعة وعدم الطعام، فكل منهم في بحر المنايا غاص وعام، مما حلّ بهم من الأوجال والآلام، ما يطول وصفه وشرحه الكلام، ويستنفد فيه القراطيس والأقلام، فسلموا لهم المدينة وخرج منها الخاص من أهلها والعام، وكان ذلك في يوم سبع وعشرين من شهر رمضان المعظم من هذا

العام، وكان نزول الطاغية عليها في شهر جمادي الأولى من العام الفارط، فكان حصارهم لها مدة عام وخمسة أشهر بعدما ما كانوا يجدونها قبل ذلك بعام،...)[٤٠]، كما أشار الحميري إلى ذلك بقوله: (وفي سنة ست وأربعين وستمائة تغلب العدو على مدينة اشبيلية في شعبان منها بعد أن حوصرت أشهراً حتى ساءت أحوال أهلها وخافوا ويئسوا من الإعانة، فأصفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها فكان ذلك، وأجلهم الفنش ريثما يستوفون احتمال ما استطاعوا حمله من أموالهم ثم خرجوا عنها وأقامت خالية ثلاثة أيام وسرح معهم الطاغية خيلاً توصلهم إلى مأمنهم وكان صاحب أناة وسياسة، ويقال إنه لما مات دفن في قبلة جامعها الأعظم)[٤١]، وهكذا سقطت إشبيلية بعد أن حكمها المسلمون مدة ٥٥٣ سنة.

الخاتمة:ـ

تقع مدينة اشبيلية غربي قرطبة، ويمر بأراضيها نهر الوادي الكبير الذي يصب في المحيط الأطلسي، فتحها المسلمون مرتين الأولى كانت سنة (٩٣هـ/٧١١م) والثانية سنة (٩٤هـ/٧١٢م)، ثم تعاقب عليها ولاة الدولة الإسلامية في الأندلس طيلة مدة حكمهم لها حتى سقوطها بيد النصارى الأسبان سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) والتي استمرت مدة ٥٥٣هـ.

لم يكن فتح المسلمين للمدينة سهلاً، بل تمت محاصرتها عدة أشهر، وعند فتحها ثار أهلها وقتل من بها من المسلمين فسير اليهم موسى بن نصير ابنه عبد العزيز فحاصرها وفتحها مرة أخرى عنوة.

وكان حكام قشتالة قد وجهوا اهتمامهم بأشبيلية في السنوات الأولى من حكم سلطنة غرناطة كونها واحدة من المدن الرئيسية، وقام ملك قشتالة فرناندو الثالث بمحاصرتها زهاء ثمانية عشر شهراً، إلا إن أهالي المدينة ابدوا مقاومة كبيرة في الدفاع عن مدينتهم، ولم تجد صرخات الاستغاثة نفعا، فسقطت سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، وقد ارتكب النصارى الجرائم بحق سكانها.

هوامش البحث

(١) البكري، المسالك والممالك، ٩٠٢/٢؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١١٢، ١١٣.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٤١/٢؛ ينظر أيضاً: البكري، المسالك والممالك، ٩٠٢/٢-٩٠٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٣١-٣٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٩٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨-٦٠؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٦١.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١١٤.
(٤) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١١٨.
(٥) ابن خلدون، العبر، ١٥٣/٤.
(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨؛ وقال العذري إن بينهما تسعون ميلا، ترصيع الأخبار، ص ١٠٩.
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٥/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.
(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
(٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٧.
(١٠) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٥.
(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٠/٢.
(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢.
(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢.
(١٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٤-٢٥.
(١٥) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ ص ٤٦، ٤٧.
(١٦) البيان المغرب، ١٥/٢؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٦.
(١٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢.
(١٨) ينظر التفاصيل: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٢-٧٦.
(١٩) ينظر التفاصيل: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٧٥؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٧٣-٨٠.
(٢٠) ينظر التفاصيل: العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠١؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٠١-١٠٢.
(٢١) ينظر التفاصيل عن هجمات النورمان على مدينة إشبيلية: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٨-١٠٠؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٧-١٨٠.
(٢٢) ينظر التفاصيل عن الفتنة في إشبيلية وبني الحجاج فيها: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) ص ٩١ -١٠٨؛ المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) ص ٦٩-٨٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٥/٢-٣٦.
(٢٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ /١٠٣٠ م، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٥٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٣/٢.
(٢٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٠٦-١٠٨؛ المراكشي، المعجب، ص ٦٠-٦١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٧/٢-١٦٦؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٠/٤ -٢٠٣.

(٢٥) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٢١-٢٢؛ المراكشي، المعجب، ص ١٠٣؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢٦) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥؛ ابن خلدون، العبر، ٣١٣/٦؛ علام، الدولة الموحدية بالمغرب، ص ١٨٢.

(٢٧) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة ٦١٠- ٦٢٠ هـ/ ١٢١٣- ١٢٢٣ م، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١-٢٤٣

(٢٨) الحميري، الروض المعطار ، ص ١٢١.

(٢٩) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٣.

(٣٠) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤.

(٣١) تقع مملكة البرتغال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية على مصب نهر آنه على المحيط الأطلسي، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢، ٧٣١.

(٣٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان الهنتاني وزير الخليفة العادل الموحدي، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٤- ١٧٥؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢٤٤.

(٣٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥؛ ينظر التفاصيل أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٤/٤

(٣٤) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٥٧/١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢؛ الإحاطة، ٧٦/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٦/٤.

(٣٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٧٨، ٣٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ٣٩٣/٦.

(٣٦) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٦٧؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ٦٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٢/٤-٤٣٣.

(٣٧) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ٣٩٤/٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٤/٥.

(٣٨) ينظر نص القصيدة: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨١-٣٨٣.

(٣٩) ينظر نص القصيدة: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨١-٣٨٣؛ وأورد بعضها: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٨٢/٤-٤٨٣.

(٤٠) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٤؛ وينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٥/٥.

(٤١) الروض المعطار، ص ٦٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر الأولية:

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)

١- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، دمشق، ٢٠١٥م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م)
٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م.
- الاصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
٣- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١ م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)
٤- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢ م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠ هـ/١٣١٠ م)
٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م)
٦- المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠ م.
٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ/٩١٢-٩٤١ م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩ م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (ت ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م)
٨- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، طبعة بولاق، ١٨٦٦ م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م).
٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
١٠- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)
١١- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م)
١٢- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢ م.
١٣- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢ م.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م أو ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م)
١٤- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ، ج ١، ١٩٥٣ م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)

١٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ومراجعة. ج. س. كولان وإ-ليفي بروفنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م؛ والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)
١٦- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)
١٧- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦ م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩ م.
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م)
١٩- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧ م.
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
٢٠- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م).
٢١- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣ م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م)
٢٢- المعجب في تلخيص أخبار المُغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر البكري القرشي (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٧ م)
٢٣- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٢٤- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، البصرة ٢٠١٢ م.

ثانياً - المراجع الحديثة:

- علام، عبد الله
٢٥- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- عنان، محمد عبد الله
٢٦- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٥، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، جـ٤، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.